

ملخص محاضرة :

الفن الفارسي

للشاعر الانكليزي Lawrence Binyon

« وفد على مصر في هذه الأيام الشاعر الانكليزي الشهور مستر لورنس بنيون أمين القسم الشرق بالمتحف البريطاني ، وألقى أربع محاضرات تناول فيها أغراضاً مختلفة في الفن والأدب ، وهذه أول محاضراته عن الفن الفارسي

إن الكلام عن الفن الفارسي يستوجب من المحاضر أن يلم في بادئ الأمر بالموقع الجغرافي الذي كان له أثر لا ينكر في توجيه الرسم الفارسي ناحية خاصة ، يلاحظها كل من له اهتمام به وتعلق بدراسته ، وإن وقوع فارس بالقرب من بلاد العرب وتوسطها بينها وبين بلدان الشرق الأقصى صبغ الفن الفارسي بصبغة خاصة وإن ظل مع ذلك محتفظاً بروحه القوية ، وشخصيته البارزة التي تميزه تمييزاً واضحاً جلياً من فنون الأمم الأخرى سواء أكانت غربية أم شرقية ، فلهذا الفن مميزات انحصارها وروحه المستمدة من صميم الواقع

وكما أن للظروف الجغرافية تأثيراً ، كذلك للظروف السياسية

عليه بفضة تساوى وزن القيل ، وبعد وفاة قطب الدين تولى الأمر نصير الدين خلجي لمدة أقل من سنة ، ثم انتقل الأمر من الأسرة الخلجية إلى الأسرة التغلقية ، وكان أول ملوكها غياث الدين تغلق فاتصل به خسرو وصنف له « تغلق نامه » أى كتاب تغلق في سنة ٧٢٥ هجرية وهو آخر تصانيف خسرو لأنه مات في تلك السنة

عاش خسرو ٧٣ سنة وصنف ٩٩ كتاباً أكثرها في الشعر باللغة الفارسية والهندية ضاع جلها إلا القليل ، وعاش عشرة ملوك ، وإن لم تجاوز مدة بعض منهم سنة ، بينهم ملوك الأسرة الخلجية الكاملة ؛ وكان خسرو عالماً فاضلاً وشاعراً مطلقاً ، وموسيقياً بارعاً ، وصوفياً كبيراً . وسنتكلم عن نبوغه في الشعر والموسيقى والتصوف في المقال الآتي إن شاء الله

السيد أبو النصر أحمد الحسيني الرضوي

أزراً لا يمكن للباحث أن يتجاهله أو ينكره ، فقد تغلبت على هذه البلاد عدة دول حاكمة كالأغريق في القديم والساسان والمسلمين ، وكانت الدولة الساسانية آخر الدول الفارسية التي حكمت إيران ، والتي توطد لها العرش زهاء أربعة قرون منذ القرن الثالث حتى السابع الميلادي ، إذ ظهرت قبل ذلك بقليل دولة الاسلام الفتية ، فاكتملت مافى طريقها ، وخفق علم الاسلام على كثير من ربوع العالم ، ولما كانت فارس قريبة من بلاد العرب فقد أبجته اليها أنظارهم بطبيعة الحال والموقع ، ولم يلبث العرب أن خضدوا شوكة دولة بني ساسان واستتبنت أقدامهم فيها ، كما أخذ الدين ينتشر في ربوعها ، ومن ثم أخذ الفن الفارسي من رسم الى تصوير الى شعر يتأثر ببعض الشيء بهذه الظروف الجديدة التي أحاطت به ، وربما كان ذلك أوضح في الشعر منه في الرسم والتصوير

وهنا نرى لزماً علينا أن نشير الى أن العرب حين غزوا هذه البلاد كانت هناك نهضة فنية ، تدلنا على ذلك تلك الآثار التي أماطت اللثام عنها بمئة ألمانية ، إذ عثرت على كثير من هذه الرسوم في بلاد الأفغان ، وأقدم هذه اللوحات بوذية ، ولكنها على درجة عالية من الأتقان

وقد قامت في ذلك الحين مدرسة فنية في بنسداد التي كانت مركزاً ثقافياً إسلامياً مهماً ، وإذ كان العرب قد نشروا سلطانهم على هذه الربوع ، فقد أدوا للفن خدمة كبرى بأن كانوا وسيطاً قوياً في نقل الروح الغربية الى الشرق ، وتطعيم الفن الفارسي بالفن العربي ، وذلك بأن العرب اتصلوا اتصالاً مباشراً بالأمم الواقعة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، وتعاملوا معها في جميع مرافق الحياة . وإذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فلا بد لنا من أن نشير إلى أن أثر الفن الصيني كان أقوى من تأثير الفن الأوربي في التصوير الفارسي ، وإن المقارنة بين الفنين الصيني والفارسي كسظهر لنا هذا أجلي من المقارنة بين الثاني والغربي ؛ وكان الاختلاط في أول الأمر قليلاً ، ولكن الظروف المحيطة غيرت الأمر الواقع ، وزادت الصلات وثقاً ، إذ ظهرت دولة المغول ، وهم من الجنس الأصفر تحت زعامة القائد المعروف تیمورلنك ، فاتصلت البلاد الصينية بربوع الشرق الأدنى ، وأصبحت هذه البلاد جميعاً أكثر ارتباطاً من ذي قبل . وهنا كان عصر ازدهار وقوة للفن الفارسي !

بنيتنا ، ذلك أن استيعاب الفنان الإيراني للمسافات لم يكن كاستيعاب الصيني لها واهتمامه بها ، فبدنا نجد عند الأخير الطلاقة الفنية ، والاحساس بالحركة ، إذا بنا نجد الفنان الفارسي يحدد قبل البدء ، ويرسم لريشته محيطاً لاتعداه ، ومجالاً لاتخرج عنه بحال من الأحوال

وصفة ثانية كان يمتاز بها الفنان الفارسي على وجه العموم ، تلك هي أنه لم يكن لبشره بريشته كثير ، وربما عد هذا في نظر بعض نقاد العصر الحاضر جوداً ، وقد يخالفهم في نظرتهم هذه كثيرون ، وليكل من الفريقين وجهة ورأى يبين رأى الفريق الآخر ، وقد يتعصبون لهذه الأفكار والآراء ، ولكنهم يتفقون في أنه عمل رائع جدير بالاعجاب ، وسواء أكان الحق في جانب هذا أم ذاك ، فذلك أمر مرجعه الى الذوق الفني والشعور المرهف الذي يستشف الحقيقة خلال الطلاسم ، ويتلمس الشئلة من بين أسداف الظلام ، ويتعرف الصواب والحق مهما تكالبت أسباب الباطل ، ويستخرجه كما يستخرج الثمر من الثرى نقياً ولعل أقرب الأمثلة على هذه الصفة التي أشرنا إليها آنفاً : أعمال (بهزاد) وهو أكبر فنان فارسي تبوأ ذروة المجد من رسومه الفنية ، وكان ممتازاً في إخراجها ، قوى الإفصاح عن مقصوده ، ولكنه بالرغم من هذا المجد التالذ والفن الخالد ، فأننا لانجده قد قام بأية ثورة على هذه القيود - كما يسميها البعض - ولم يحاول أن ينتزع نفسه من ريقة التقاليد وترسم الآثار ، ولم نشهد له محاولة ولو ساذجة تجعلنا نقول إن هناك تبشير تطور أو حركة تجديدية ضد ما تألفوا عليه ، بل رأيتاه وحلقه يسرون على منهج واحد ، كأنما استعملوا هذه الطريق المبتدة ، ولكنهم على أى حال ، وإن كانوا قد انصرفوا عن هذا الطريق ، إلا أنهم جميعاً كرسوا جهودهم وصرفوا قواهم في إبداع آيات خالديات في الفن ، تشهد لهم بالعبقريه ، وحسبهم فخراً أن يهتم التحف البريطاني في انكثرتا بلوحات الفنانين قاسم على والسعدى وغيرها من أقطاب الفن الفارسي

وعلى العموم يمكننا أن نقول إن الفن الفارسي فن لا يكتفى بالنظرة الواحدة للحكم عليه في ذلك شيء كبير من الاستبداد ، وهو فن عالى يشهد للفرس بالدقة والبراعة

حسن محمد محمود

تلخيص وترجمة

ذلك بأن الفنانين الفارسيين حين شاهدوا آثار المصورين الصينيين أعجبهم هذه البراعة الفائقة والدقة التناهية في إبراز العواطف والمناظر المختلفة في صور محسوسة تسترعى الانتباه ، وتشهد لهم بالعبقريه والفن ، إذ كانت هذه الرسوم تستلزم التفكير الدقيق في كيفية تهيتها وإبرازها على هذا النحو العجيب ، ومن ثم بدأوا يجارونهم ويهجون سبلهم ، ويترسمون آثارهم وقواعدهم ، ورأوا أن إبراز الاحساس بالواقع عند الصُّفْر أكثر مما عندهم ، كما شاهدوا الدقة العظيمة والمقدرة الرائعة في تجسيم كل ما تقع عليه العين في صورة جذابة ، كما أنهم لم ينسوا أن يستلهموا الطبيعة صوراً ويستمدوا منها فناً جعلنا نقف موقف الاجلال إزاء هذا الفن العالى المجسم ، حتى إنهم صوروا تسلسل المياه مما لا يتقصه إلا الخليل حتى تكون طبيعة ثانية من عمل المرء بجانب الطبيعة التي أوجدها الله

وقد يظهر لنا من هذه الكلمة السالفة أن الفن الفارسي كان صورة ثانية للفن الصيني ، أو هو فن صيني رسمته ريشة فارسية ، ولكن الحقيقة هي أنه بالرغم من تأثره الى حد ما بالرسم الصيني فقد ظل محتفظاً بشخصيته وروحه وطبيعته الفارسية ، ولا يشين الفن الإيراني^(١) أن يكون قد أجّل الفن الصيني ؛ ومهما يكن الأمر فهناك فروق تظهر جلية للباحث المدقق ، حين تعرض عليه صورتان لمنظر واحد أولاهما لمصور صيني والأخرى لفارسي ؛ ونحن حين نستعرض صورتين لمنظر من مناظر الطبيعة مثلاً ، تبارت في إحداها ريشة صينية وفي الأخرى فارسية ، فأننا نلاحظ في الأولى التحرر من القيود الطبيعية وعدم التزام وحدة معينة ، بل نرى كيف 'يخضع' الفنان الطبيعة لريشته ، بينما نلحس تناسق الأجزاء وترتيب بعضها بالنسبة للبعض الآخر في صورة الفنان الفارسي ، وربما سأل السامع نفسه إزاء هذا عن العلة أو اللول الحقيقية والباشرة أو غير الباشرة التي أدت الى افتراقهما بعضهما عن بعض بعد أن اتحدا في الفكرة ، أم الخيال ؟ أم الاحساس ؟ أم طبيعة كل منهما ؟ وقد يكون ذلك أحد هذه الأسئلة ، وقد تكون جميعها متحدة ، ولكن هناك أمراً لا بد منه ، ولابد أن نذكره إذا أردنا إجابة شافية توضحنا أو تقربنا الى

(١) كلمة إيراني هنا تعادل لفظة « فارسي » وقد طالعنا فصلانيا في مجلة (Young Asia) لأديب فارسي أثبت فيه أن اللفظ الأول هو الأصح وعلى كل فقد استعملنا القطين لمعنى واحد تحاشياً من التكرار